تطوان من خلال كتب التراجم والطبقات: تصنيف وقراءة وتوثيـــق

د. عبد الله المرابط الترغي
كلية الآداب ـ تطوان

يتناول موضوع هذه الورقة ثلاث نقط أساسية

أولها: ما يتعلق بالتراجم وأعمالها في مجال التوثيق.

ثانيها: ما يتعلق بما أنتجته تطوان من أعمال التراجم التي ترتبط بكتب الطبقات أو غيرها.

ثالثها: ما يتعلق بتاريخ تطوان للأستاذ محمد داود رحمه الله باعتباره نموذجا لهذه الكتب في التراجم والطبقات مما ارتبط بمدينة تطوان .

أولا: تتركب كتب الطبقات من تراجم الرجال عامة، فيقوم على التعريف بهؤلاء الرجال في إطار الطبقات التي ينتمون إليها أو يتَّسِمُون بما يشترك[54] بينهم في هذه الطبقات، وبما ينطبق عليهم من الشرط القائم بها فتعرف بموالدهم ونشأتهم ومراحل طلبهم العلم، وشيوخهم، وتلامذتهم، وأحوالهم، وأعمالهم في التدريس والتأليف والإبداع، مع ذكر وفياتهم، والتواريخ المرتبطة بهم.

وهذه التراجم هي مستندات لتوثيق التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي لبلد من البلدان.

لذلك كانت هذه الترجمات تحمل أهمية كبيرة في توثيقها لأشكال الأعمال المرتبطة بالرجال، وكانت بهذا التوثيق تمثل المستندات التي تشهد بحضور مجموعة من القضايا لبلد من البلدان، وليكن هذا البلد هو مدينة تطوان، لأنه مستند يوثق الرجال في انتمائهم إلى هذا البلد أو وفودهم عليه واستقرارهم به، ويوثق الرجال في مساهماتهم العلمية وأنشطتهم الفكرية والإبداعية، ويوثق كذلك المساهمة العلمية التي أنتجها هذا البلد في وسط وحقبة معينتين.

هذه الترجمات على اختلاف أوضاعها وأشكالها في الطول أو القصر، وفي كثرة المعلومات أو قلتها، وعلى اختصاص في توجيهها وهدفها، تتكون فيها ما

---

[54] ـ عن السكيرج عبد السلام وتاريخه، راجع: الدكتور عبد الله المرابط الترغي، ندوة **تطوان خلال القرن الثامن عشر**، ص 132.

أسميناه بكتب طبقات الرجال، وتتكون منها أيضا أصناف ترجمية أخرى، إن لم تكن صريحة في تسميتها بالطبقات فإنها تقرب من ذلك بما تحمله من أعمال الترجمة داخلها، ولما تقوم عليه بها، كما هو الشأن في كتب فهارس العلماء وأتباعهم ومعاجم شيوخهم، وفي كتب التصوف ومناقب الشيوخ، وفي كتب الرحلات حيث يتخللها حديث عن تراجم الرجال الواردة أسماؤهم فيها، وفي كتب التواريخ العامة حيث ينجر الحديث إلى ذكر أعمال الرجال الذين ارتبطت بهم أحداث هذا التاريخ، وفي غيرها من أصناف الكتب الأخرى. فيتم في جميعها عرض تراجم الرجال بصفة من الصفات وبهدف من الأهداف، إما في شكل طبقات أو ما يشبه هذه الطبقات.

هذه الأعمال كلها تبقى مستندات توثيقية لما تحمله من ذكر أخبار، ووصف أحوال، وعرض تواريخ. ولتكن هذه الأعمال قد ارتبطت بصفة مباشرة بالبلد المعني بالتوثيق فيها أو ارتبطت بغيره من البلدان الأخرى، فكان الذكر فيها عارضا، تأتي به هذه الترجمة أو تلك بالتبعية إلى غيرها أو لطارئ ألحّ على ذكرها.

وتتنامى القيمة التوثيقية لهذه الترجمة بتنامي المستندات التي تؤكدها، بمعنى أن ما يتم فيها من كثرة المواد المحال عليها. ومن كثرة المصادر المسماة بها - سواء كانت مكتوبة أو ما تم بالمشاهدة والمعايشة - يعطيها القيمة الأكثر توثيقا. ولذلك كانت الترجمة تتنامى قيمتها المعرفية والتوثيقية معا، بتنامي المستندات الفرعية مما يدخل في تركيب أعمال الترجمة وصناعة موادها. لأنه في النهاية يعود الأمر إلى توثيق ما يختص بالبلد الذي تمثله تلك الترجمة، وتوثيق انتماء المترجم به إلى نفس البلد.

والذي أخلص إليه هو أن الترجمة مستند توثيقي يحمل معالم البلد والانتماء إليه، سواء أنتجه عالم من البلد نفسه أو عالم من خارج هذا البلد وبعيد عنه، وسواء تعلق الأمر بعمل اختص ببلد معين كمدينة تطوان مثلا، أو بغيرها من بقية مدن المغرب والعالم الإسلامي.

ثانيا: وقد أنتج حول تطوان شيء كثير من الأعمال التاريخية والترجمية، مما قام به توثيق المدينة في أحوال نشأتها ونموها وازدهارها في مجالي العمران والاجتماع؛ وفي أحوال رجالها وأعمالهم وأنشطتهم في المجالات المختلفة؛ وفي أحوال العلم والصلاح بها وأنشطة رجالها في الممارسة والتأليف، وما تنتجه من أعمال وكتابات تصبح مستندا يعتمد عليه في توثيق الحضور التاريخي لتطوان.

أ/ فمنها الأعمال التاريخية المختلفة التي اختصت بتطوان باعتبارها تواريخ بلدانية أو شبهها ترتبط بتطوان، أو التي أنتجها أبناء تطوان وكان

القصد منها بشكل أو بآخر، إبراز ما تحتويه تطوان من حضور تاريخي وعلمي مما صنعه رجالها وأنتجه أبناؤها. من ذلك ما يرجع إلى:

1/ التاريخ العام لمدينة تطوان:

وهو التاريخ الذي يتحدث عن المدينة في مراحلها التاريخية المختلفة في نشأتها وتسميتها، وذكر حوادثها وعمرانها وعاداتها ورجالها وأسرها وغير ذلك من مكونات مدينة تطوان منذ ظهورها إلى اليوم.

I - وتشتهر من هذه التواريخ المختصة بتطوان ثلاثة تواريخ مهمة جدا.

أولها: تاريخ تطوان للشيخ عبد السلام اسكيرج[55] (ت 1250هـ) وقد سماه: **نزهة الإخوان، وسلوة الأحزان، في الأخبار الواردة في بناء تطوان. ومن حكم أو تقرر فيها من الأعيان**[56]. وهو كما يحمله اسم الكتاب ينصرف إلى ذكر ثلاثة أشياء أساسية، هي الأخبار الواردة في بناء تطوان ونشأتها وقيامها وتسميتها، ثم من حكم فيها من الولاة والحكام إلى عهد المؤلف. وأخيرا ذكر من تقرر فيها من أعيان الرجال من الصلحاء والعلماء.

والكتاب حسب ما يذكر عنه قد كان في مجلدين، إلا أن الموجود منه اليوم لا يعدو مجموعة قطع قد تمثل نصف الكتاب أو قريبا منه، تتناول النشأة والتاريخ، وتشمل كثيرا من تراجم الرجال من شيوخ المؤلف وغيرهم تقارب 60 ترجمة، من بينها المشيخة التي قرأ عليها المؤلف، فأفردها بفصل خاص سماه بقوله: " فصل في ذكر العلماء الذين قرأنا عليهم وأخذنا عنهم، منهم من أهل بلدتنا التطوانية، ومن أخذنا عنه العلم بحاضرة فاس أمنها الله تعالى من كل باس". وقد أتى على ترجمة ثلاثين شيخا ممن جالسهم واستفاد منهم، بما فيهم بعض شيوخه بفاس، وقد سمى منهم فقط الشيخ التاودي بن سودة (ت 1209) والشيخ محمد بن الحسن بناني (ت 1194).

---

[55]- من تاريخ السكيرج **نزهة الإخوان** نسخة مخرّجة بخطي في 127 صفحة معتمدا فيها على: أ/ مصورة الفقيه محمد بوخبزة المأخوذة من أصل بخزانة الفقيه اللوجراي بتطوان. ب/ وعلى نسخة بخط الأستاذ محمد داود في خزانته بتطوان.

[56] - تنظر ترجمة أحمد الرهوني في: **عمدة الراوين**، الخاتمة في التعريف بنفسه، دراسة وتحقيق: عائشة حيون، أطروحة جامعية مرقونة، كلية الآداب، تطوان - وتاريخ تطوان 57/1– معجم المطبوعات المغربية، ص 132 - مقدمة التحقيق لكتاب عمدة الراوين 20/1 وما بعدها

وتاريخ السكيرج هذا من الأهمية بمكان، لما يلقيه من ظلال التوثيق على تطوان وحركتها السياسية والثقافية والعمرانية على امتداد تاريخ هذه المدينة إلى حدود منتصف القرن الثالث عشر للهجرة.

ثانيها: كتاب **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين** لأبي العباس أحمد الرهوني[57]. (ت 1373/ 1953) وهو تاريخ مطول لتطوان صنفه الرهوني في عشرة أجزاء كبيرة[58]. تتناول ما يمكن أن يرتبط بتاريخ تطوان مجتمعا وعمرانا وثقافة وصلاحا ورجالا وغير ذلك.

ويمكن أن نتمثل الكتاب في ثلاثة أقسام جامعة:

القسم الأول: ويشمل الفصول الخمسة عشر الأولى، ويجري الحديث فيها على النشأة والتسمية وأطوار تطوان التاريخية وموقعها وعمرانها وتخطيطها وأحيائها ودورها ومؤسساتها الاجتماعية من مساجد وحمامات وأفرنة ومدارس وغيرها، مع ذكر ما يتعاطاها أهلها من صنائع وحرف، قبل أن يخصص فصولا مهمة جدا لولاة تطوان وحكامها وقضاتها، وأخرى لعاداتها المختلفة وأخلاق أهلها، ثم في فصل مطول عن لغة تطوان المتداولة بين سكانها، مرتبا لها على الحروف الأبجدية وشرحها وتفسير ما تمتاز به من دلالات وتوجيهات.

القسم الثاني: ويشمل الحديث على تراجم الرجال الذين أنجبتهم تطوان على اختلاف مراحلها التاريخية من الصلحاء والعلماء والمجاذيب والأعيان. وقد تميز هذا القسم بميزتين اثنتين: فالميزة الأولى أن عرض التراجم قد جاء في سياق شرح قصيدة أنشأها المؤرخ الرهوني في ذكر رجال تطوان، ضمَّن أبياتها أسماء وصفات هؤلاء الرجال من علماء وصلحاء وغيرهم. ولذلك جاءت هذه التراجم مبعثرة لا يحكمها ترتيب معين ولا يقوم بها نظام مضبوط. أما الميزة الثانية فهي ما انجرّ بذكر هذه الأسماء والتعريف بها إلى إيراد ما يناسبها من ذكر مشاهير نفس الأسرة، ومن أبنائها لاسيما من كان له حضور في العلم أو الصلاح أو الوجاهة. ولذلك اتسع مجال التراجم في عمدة الراوين ليشمل غير الواردة أسماؤهم في المنظومة واتسعت أعمال الكتاب لتجمع بين التراجم من جهة والأنساب والمناقب من جهة ثانية.

---

57 ـ نشرت الأجزاء الأربعة الأولى بتحقيق: الأستاذ الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي. إصدار: جمعية تطاون أسمير بتطوان. وتم تحقيق الخاتمة التي تحتوي على الثلث الأخير من الجزء الثامن وبقية الجزءين التاسع والعاشر، في إطار أطروحة جامعية لنيل الدكتوراة، من طرف الباحثة الدكتورة عائشة حيون بكلية الآداب بتطوان بإشراف الدكتور عبد الله المرابط الترغي.
والأجزاء الباقية ما تزال مخطوطة، والاعتماد فيها على نسخة الفقيه بوخبزة بخط يده، ومنها نسخة مصورة بخزانة كلية الآداب بتطوان.

58 ـ سيرد الحديث مفصلا على تاريخ تطوان بعد قليل.

القسم الثالث: وهو خاتمة الكتاب ويكاد يمثل الربع الأخير من الكتاب. وقد خصصه الرهوني في الترجمة لنفسه والتعريف به، فذكر أصله ونشأته وقراءته في كل من تطوان وفاس مع التعريف بشيوخه وذكر أعمال الدرس والتأليف والتصوف مما مارسه عند شيوخه أو مع طلبته في كل من تطوان أو طنجة عند حلوله بها. وأخيرا يورد من الأشعار ما يحفظ به علاقته بتطوان ومؤسساتها الصوفية والعلمية ورجالها من شيوخ وطلبة.

ثالثها: كتاب **تاريخ تطوان** للأستاذ[59] محمد داود رحمه الله. وهو أكمل التواريخ التي كتبت حول تطوان، صدر منه تسعة أسفار وما تزال بقيته مخطوطة تنتظر النشر. جمع فيه صاحبه بين العرض التاريخي للأحداث والتحليل العميق للوقائع وأسبابها ونتائجها مع عرض مسهب لرجال تطوان من العلماء والولاة والقضاة والصلحاء منذ أول تطوان إلى حدود منتصف القرن العشرين. وقد اعتمد الأستاذ داود بصورة متميزة على الوثيقة باعتبارها شاهدة على الحدث وعارضة للمواقف والقضايا. وسيرد الحديث المفصل على تراجم تاريخ تطوان في المرحلة الثانية من هذا العرض.

II - ومع هذه التواريخ الكبيرة التي تختص بتطوان هناك مجموعة تواريخ صغيرة أو دراسات جزئية تتخللها أعمال ترجمية لرجال تطوان.

ويجمع بينها جميعا أنها كتبت لخدمة تطوان والتعريف بها، وتوثيق نشاطها الفكري ونشاط رجالها. من هذه الأعمال:

* كتاب **من أعلام تطوان**[60]. للأستاذ عبد الواحد أخريف. وقد أتى فيه على تراجم عدد من رجال تطوان ممن ساهموا في بناء الصورة العلمية لتطوان، وفي موقف من المواقف الذي تقوم به شخصية هذه المدينة الثقافية والحضارية. وقد بلغ عدد التراجم المسماة في الكتاب 112 ترجمة. وهي تراجم منتقاة، تقف عند المشاهير من الفقهاء والعلماء، ورجال القيادة والسياسة. ورغم أن بناء الترجمة قد جاء موجزا، لا يجلب له نقولا، ولا يمتد به الفضول إلى الاستطراد واستقراء الجزئيات في حياة هؤلاء المترجم بهم، فإنه قد أدى الهدف ورسم الصورة المشرقة التي تحياها تطوان منذ أن نزل بها الشيخ الصالح عبد القادر

---

59 - نشر بمطبعة الهداية بتطوان، بإصدار المجموعة الحضرية بتطوان بمناسبة عيد الكتاب في أبريل 1998.

والأستاذ عبد الواحد أخريف (أمدّ الله في عمره ورزقه الصحة والعافية) أحد من اشتغل بالدرس العلمي في تطوان، وأحد كبار شعراء تطوان والمغرب في وقتنا الحالي.

60 - صدر كتاب **الحركة العلمية** ... لإدريس خليفة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط 1414هـ/1994م – والدكتور إدريس خليفة أحد علماء تطوان، تخرج من دار الحديث الحسنية، وشغل رئاسة المجلس العلمي لولاية تطوان، وهو اليوم عميد كلية أصول الدين بتطوان.

التبين في حدود القرن السادس للهجرة، وعرّف بأصناف الرجال الذين انتقاهم العمل باعتبارهم معالم بارزة ومميزة في الصرح الثقافي والحضاري لمدينة تطوان.

* **"الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال"**[61] للأستاذ الدكتور ادريس خليفة. وهي دراسة جامعية ضم القسم الرابع والأخير منها ذكر مشاهير العلم والأدب في تطوان والوافدين عليها، ممن كان لهم دور مهم في بعث الحركة العلمية والثقافية في فترة الحماية بتطوان. بلغ مجموع التراجم التي عرف بأصحابها ثلاثين ترجمة، منهم ثمانية عشر رجلا من العلماء والأدباء التطوانيين. والبقية، وعددهم اثنا عشر رجلا، من الوافدين على تطوان ممن كان لهم لحظة استقرار بها، ومساهمة في بلورة الحركة الثقافية فيها. وهي تراجم في عمومها وافية ومستوعبة لكل ما يمكن أن يذكر عن هؤلاء الرجال، أو يستحق أن يعرف عنهم وعن أعمالهم العلمية أو الأدبية. ولذلك كانت تراجمهم مهمة توثق موقف تطوان العلمي ونشاط رجالها في تلك الفترة.

وهكذا سمّى في علماء وأدباء تطوان[62]. الفقيه أحمد الزواق (ت 1371/ 1952) وأخاه محمد الزواق (ت1928/1347) وأبا العباس الرهوني (ت1953/1373) والفقيه محمد الفرطاخ (ت1369 / 1950) والعلامة محمد الصادق الريسوني (ت1957/1376) والفقيه محمد المرير(ت1398/ 1978) والأديب محمد بن موسى (ت 1965/1385) ومحمد بن التهامي أفيلال (ت 1388/ 1968م) وعبد السلام بنونة (ت 1354 /1935) والمؤرخ محمد داود (ت 1404/ 1984) والتهامي الوزاني (ت 1392هـ/ 1972م) وعبد الخالق الطريس (ت 1390/ 1970) وامحمد بنونة (ت1387 /1967) والطيب بنونة (ت1981/1401) والشهيد امحمد بن عبود (ت1369 /1949) ومحمد ابن الأبّار (ت1956/1376) واحمد المكناسي (ت1385 /1966) والعربي اللوه (ت1408 هـ/1988م) كما سمى في العلماء والأدباء

[61] - تنظر تراجم هؤلاء بالتتابع في الحركة العلمية: أحمد الزواق 500/2 – محمد الزواقي 516/2 - أحمد الرهوني 519/2 - الفرطاخ 357/2 - الريسوني 545/2 - المرير 548/2 - ابن موسى 558/2 - أفيلال 563/2 - عبد السلام بنونة 566/2 - داود 575/2 - الوزاني 585/2 - الطريس 593/2 - امحمد بنونة 606/2 - الطيب بنونة 611/2 - امحمد بن عبود 609/2 - ابن الأبار 614/2 - المكناسي 616/2 - اللوه 619/2.

[62] - تنظر ترجمة هؤلاء جميعا بالتتابع في كتاب الحركة العلمية من ص 622/2 إلى 674/2.

الاثني عشر الوافدين على تطوان[63]، الأمير شكيب أرسلان، وأمين الريحاني، وأبو شعيب الدكالي، وعبد الرحمن ابن زيدان، وعبد الرحمن ابن القرشي، ومحمد المكي الناصري، وعبد الله كنون، وعلال الفاسي، وابراهيم الألغي، ومحمد تقي الدين الهلالي، ومحمد اليمني الناصري، وعبد الوهاب بنمنصور. وهم جميعا كان لهم دور في بعث الحركة العلمية والثقافية والسياسية في تطوان في هذه الحقبة الموضوعة للدراسة.

* ويضاف إلى هذين العملين، ما يتداول من كتابات حول تطوان ورجالها في أعمال الندوات والدوريات[64]. مما كتبه الدكتور حسن الوراكلي، والعلامة عبد الغفور الناصر، والدكتور عبد الله المرابط الترغي، وغير ذلك.

2/ أعمال الفهارس والمشيخات:

وهناك أعمال ترجمية ترتبط بالفهارس والمشيخات مما أنتجه أهل تطوان. فرسموا فيها كثيرا من الأنشطة العلمية والتأليفية التي عرفتها تطوان، ووثقت كثيرا من مشيخات العلم بها، فعرفت برجالها وذكر أحوالهم ووفياتهم وممارستهم للعلم والتدريس والتأليف وغير ذلك .

وقد أنتج علماء تطوان عددا من هذه الفهارس على اختلاف أزمانهم وأعصارهم. وهكذا نجد :

* **فهرسة لأبي العباس أحمد الورزازي**[65] (ت1179هـ) دفين تطوان. وهي فهرسة يسجل فيها الإجازات التي حصل عليها في الرحلة إلى المشرق، ويذكر فيها شيوخه وأسانيده في رواية مصنفات الحديث وبقية العلوم.

* **فهرسة لمحمد بن علي الورزازي**[66]. (ت 1224هـ) دفين تطوان. وهي فهرسة أتى فيها على ذكر شيوخه في الإقراء والإسناد. وتتسع مشيخته لتشتمل عددا كبيرا من علماء القرن الثاني عشر للهجرة. ومن بينهم عدد مهم من علماء تطوان.

---

63 - ينظر في هذا الندوات التي أصدرتها شعبة التاريخ، كلية الآداب بتطوان، وبالأخص ندوة: **تطوان قبل الحماية**. وندوة: **تطوان في القرن الثامن عشر**. وندوة: **تطوان في القرنين السادس والسابع عشر**. وينظر كذلك جريدة الميثاق: لسان رابطة علماء المغرب في أعداد مختلفة.

64 - تنظر ترجمته في: **تاريخ تطوان** 3/85-173 - فهارس علماء المغرب 250 - ينظر الحديث عن فهرسته في: فهارس علماء المغرب 250 - وهي فهرسة ما تزال مخطوطة في نسخ قليلة، منها مخ.خ.ح 13003 ضمن كناشة الحضيكي، ونسخة خ ع بالرباط: د 4582.

65 - راجع ترجمته في تاريخ تطوان 6/191 - وتوجد فهرسته مخطوطة في خزانة داود بتطوان.

66 - نشرت فهرسة ابن عجيبة بالقاهرة عام 1990 بتحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان. تنظر ترجمة أحمد بن عجيبة في تاريخ تطوان 6/213-259.

* **فهرسة لأبي العباس أحمد بن عجيبة**[67]. (ت 1224هـ)، وقد احتفظ فيها ـ زيادة على ترجمته الشخصية ـ بتراجم الكثير من علماء تطوان ممن أخذ عنهم الشيخ ابن عجيبة في حلقات الدرس بهذه المدينة، مثل عبد الكريم بن قُرِّيش، وأحمد الرشَّى ومحمد الجنوي، ومحمد بن علي الورزازي، وغيرهم. وبعض هؤلاء الشيوخ ينفرد بالتعريف بهم ابن عجيبة في هذه الفهرسة[68].

* **فهرسة لمحمد بن الصادق بن ريسون العلمي**[69] (ت 1234هـ). وهي فهرسة جمع فيها بين شيوخه الذين قرأ عليهم في كل من جبل العلم وتطوان وفاس والمشرق. وتمثل مشيخة مهمة تحتفظ بكثير من تراجم الرجال الذين عرفتهم تطوان في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة.

* **فهرسة الفقيه محمد المرير**[70]. (ت1398هـ) المسماة **النعيم المقيم** ... وهي على طولها واستطراداتها تحتفظ بفصول ترجمية لشيوخ الرجل أولا، ولكثير من علماء تطوان في مراحل مختلفة ثانيا، لتصبح هذه الفهرسة بالذات أوْفى الفهارس التي عرفتها مدينة تطوان في تاريخها، وأكثر النصوص التوثيقية لعمل تطوان العلمي ولنشاط رجاله في الدرس والتأليف وممارسة العلم.

* **فهرسة الفقيه محمد المرابط الترغي**[71]. (ت1999م) وقد ضمنها تراجم شيوخه وشيوخ شيوخه، فاستوعب ما يزيد على أربعين ترجمة. أكثر رجالها يمثل العلم في تطوان المدينة، وقليل منهم يختص بعلماء بادية تطوان ممن استفاد منهم صاحب الفهرسة في الدرس القرآني أو في درس العلوم المختلفة، ورغم أن تراجمه تقوم على الإيجاز في عمومها، إلا أنها تنتقي من أحوال الرجال وأخبارهم وموالدهم ووفياتهم ما يكون أكثر تركيزا في الترجمة وإغناء في التعريف بنشاط الرجال وأعمالهم في الدرس والتأليف وممارسة الخطط المسندة إليهم. ولذلك كانت أعمال الفهارس بهذه الصفة المستندات التي توثق ممارسة العلم وحركة رجاله في تطوان.

---

67 ـ راجع الفهرسة 30 وما بعدها حيث عرض أسماء شيوخه بتطوان وما قرأه عليهم من علوم.

68 ـ تنظر ترجمة ابن ريسون في تاريخ تطوان 266/6 ـ من الفهرسة عدة نسخ مخطوطة منها مخ.خ.ع: ج 71.

69 ـ تنظر ترجمته في: كتابه النعيم المقيم: كله ـ إسعاف الراغبين 215 ـ الحركة العلمية لإدريس خليفة 548/2 – أما فهرسة التعليم المقيم فهي في أصلها في 8 أجزاء كبيرة. وقد نشرت جمعية تطاون أسمير بعناية ولد المؤلف الأستاذ أحمد ثلاثة أجزاء.

70 ـ راجع ترجمة الفقيه الترغي في: فهرسته: كلها – إسعاف الراغبين 239 ـ جريدة الجسر: تصدر بتطوان، عدد 67، أبريل 2000، إنجاز الأستاذ عبد القادر الخراز ـ وجريدة صدى شفشاون: تصدر بشفشاون، عدد 55، سنة 5، يونيو 2000، إنجاز محمد القاضي وعبد الرحيم الوهابي.

71 ـ لنُضَار الأصيل نسخة فريدة بخزانة داود بخط المؤلف. تنظر ترجمة شطير في: تاريخ تطوان 199/6 حيث ترجمته والحديث على كتاب نُضَار الأصيل.

* ويدخل في هذا السياق كثير من المؤلفات التي تشبه شكل الفهرسة، لأنها تحتفظ بكتابة تعرف بشيوخ صاحبها، أو تسجل بعض ذكرياته في مراحل الأخذ والتعليم، مثل **نضار الأصيل** لعبد الله ابن علي شطير الحساني[72].أصلا التطواني نشأة ودارا (ت1214هـ)، و**كناشة** الأديب المفضل أفيلا ل[73]. (ت 1304هـ).

وكتاب **الزاوية**[74]. للشيخ التهامي الوزاني (ت 1392 هـ)، وكتاب **على رأس الأربعين** للمؤرخ محمد داود[75]. (ت1404). وهي جميعها تحمل من المستندات الترجمية التي تعرف برجال تطوان ممن استفاد منهم هؤلاء المذكورون في مرحلة الطلب والأخذ العلمي. وقد انفردت بترجمة العديد من العلماء الذين مثلوا تطوان في أعمالها العلمية تدريسا وتأليفا.

ب/ ومنها ما يرتبط بتاريخ المغرب عامة والتعريف برجاله، فيرد فيها ضمن ما يرد من الحديث على جهات المغرب، ذكر تطوان ورجالها.

وهي أعمال متنوعة تشمل كثيرا من أصناف الكتابات التاريخية المختلفة، إلا أنها تشترك في كونها تحمل ضمن موادها إحالة أو أكثر لتطوان ولرجالها ولأعمال الثقافة والتاريخ بها، فتعرف ببعض رجالها إما في ذكر وفياتها أو في استحضار بعض إنتاجها أو في التعرض لبعض أحوالها وإيراد ما يفيد في الترجمة لها.

1/ منها كتب التاريخ العام للمغرب مثل كتاب **الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى**[76] لأحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ) فإنه حين ينتهي من فترة تاريخية بالذكر والتحصيل، يعقب عليها بذكر وفيات رجالها مرتبة حسب الأقدم وفاة منها. ورغم قلة هذه التراجم الواردة في هذا السياق فإن عددا من وفياتها اختص برجال تطوان ممن كان لهم شأن وظهور تجاوز حضورهم الجهوي بتطوان ليصبحوا مذكورين في التواريخ الوطنية.

2/ ومنها كتب طبقات الرجال التي هدف أصحابها خاصة إلى ذكر تراجم المغرب في صفة علمية معينة وفي حقبة زمنية محددة.

---

72 - تحتفظ خزانة داود بتطوان بنسخة أصلية من هذه الكناشة. راجع ترجمته في تاريخ تطوان 177/7 حيث اعتمد في صياغتها على هذه الكناشة.

73 - نشر كتاب **الزاوية**، الجزء الأول، بمطبعة الريف بتطوان عام 1941 - ونشر ثانية بعد إضافة ثلاث كراسات من الجزء الثاني، بتطوان بعناية جمعية تطاون أسمير.

74 - نشر الكتاب بتحقيق الأستاذة حسناء داود، جمعية تطاون أسمير، تطوان.

75 - طبع كتاب **الاستقصا** أكثر من مرة. وآخرها عام 2003 بإصدار وزارة الثقافة المغربية. تنظر ترجمة المؤلف أحمد بن خالد الناصري في مقدمة الجزء الأول من كتابه الاستقصا 9/1، طبعة دار الكتاب الدار البيضاء 1954.

76 - للكتاب طبعتان، طبعة على الحجر بفاس. وطبعة حديثة 2004 بتحقيق: د. عبد المجيد خيالي، المغرب الدار البيضاء.

تنظر ترجمة الافراني في مقدمة التحقيق لكتابه **المسلك السهل** 11/1 والمراجع التي يحيل عليها.

وهي أعمال كثيرة نذكر منها صفوة من انتشر[77] من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر لمحمد الصغير الإفراني (ت بعد 1155هـ)، ومطمح النظر ومرسل العبر بذكر من غير من أهل القرن الحادي عشر لمحمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي[78] (ت1113هـ)، والإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج لمحمد بن الطيب القادري[79] (ت1187هـ)، والشِّرب المحتضر[80] والسر المنتظر من معين أهل القرن الثالث عشر للشيخ جعفر الكتاني (ت 1323هـ) وغيرها كثير. ونذكر من هذا الصنف ثلاثة كتب متفاوتة في زمنها، وكان لتطوان حضور فيها، منها :

* **كتاب الأنيس المطرب[81] فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب لمحمد بن الطيب العلمي** (ت1134) وهو كما يدل عليه اسمه في التعريف بأدباء المغرب فترجم لثلاثة أدباء من تطوان من بين التراجم الإثني عشر الذين ذكرهم في كتاب الأنيس المطرب فخص الأديب محمد بن سليمان، والشاعرين أبا الحسن علي منضوصة (ت1126هـ) ومحمد بن يعقوب - وهم جميعا من أهل تطوان وممن لقيهم بها أثناء رحلاته إليها - بتراجم أتى فيها على ذكر كثير من أعمالهم وآثارهم الأدبية وإن لم يستكثر من ذكر أحوالهم وأخبارهم وموالدهم ووفياتهم. فكان للكتاب قيمة مصدرية يوثق رحلة المؤلف الأديب ابن الطيب العلمي إلى تطوان، ويوثق حركة الأدب مع رجالها المذكورين في تطوان.

* **وأزهار البستان في طبقات الأعيان لأبي العدس أحمد بن عجيبة الحسني[82]** (ت1224هـ) وهو "مختصر بديع في طبقات مشاهير الأعيان القائمين بالشريعة في كل أوان" من مشاهير الفقهاء ثم النحويين واللغويين

---

[77] - هو كتاب لم يكمله مؤلفه، وصل به إلى وفيات 1013هـ. ويعتبر اليوم ضائعاً. وقد نقل منه صاحب نشر المثاني في كثير من تراجمه. تنظر ترجمة مؤلفه في: نشر المثاني 131/3.

[78] - حقق الكتاب في إطار رسالة جامعية من طرف الأستاذة مارية دادي بكلية الآداب بالرباط، موسم 90-91.

[79] - حقق الكتاب في إطار رسالة جامعية من طرف الأستاذة مارية دادي بكلية الآداب بالرباط، موسم 90-91.

تنظر ترجمة القادري في: مقدمة التحقيق لكتابه التقاط الدرر للأستاذ هاشم العلوي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1401/1981.

[80] - للكتاب طبعات، طبعة حجرية بفاس، وطبعة حديثة بتحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1425هـ/2004م – تنظر ترجمة الشيخ جعفر الكتاني في: مقدمة التحقيق لكتاب الشرب المحتضر، ص 19 والمراجع المذكورة.

[81] - للكتاب طبعات، طبعة حجرية بفاس، وطبعة حديثة بتحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1425هـ/2004م - تنظر ترجمة الشيخ جعفر الكتاني في: مقدمة التحقيق لكتاب الشرب المحتضر، ص 19 والمراجع المذكورة.

[82] - طبع كتاب **الأنيس المطرب** على الحجر بفاس. راجع ترجمة المؤلف في: نشر المثاني 263/3 – ومعجم المطبوعات المغربية، ص 243.

والبيانيين ثم القراء والمفسرين فالمحدثين وأخيرا مشاهير الصوفية الربانيين. إلا أن الموجود من الكتاب يغيب عنه ذكر طبقات الصوفية التي نرجح أن المؤلف لم ينجز كتابتها. ويبرز عدد من تراجم رجال تطوان بين أعداد التراجم المتنوعة التي احتواها كتاب أزهار البستان، فهناك ترجمة عبد العزيز الزياتي (ت1055)، وسيدي علي بركة (ت1120) وتراجم لرجال من أسرة ابن قريش، وابن طرِّيقة وغيلان، والجنوي، والحايك والورززي، والرُّشَّى وغيرها، وهي تراجم تطوانية تنتمي إلى القرون الثلاثة الأخيرة قبل وفاة ابن عجيبة عام (1224) وأكثرهم من شيوخه الذين قرأ عليهم واستفاد منهم.

* **إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، لمحمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي**[83] (ت 1412 هـ/1992م) وهو كتاب قد حوى تراجم مائة من علماء المغرب المعاصرين ممن اتصل بهم المؤلف، وعرفهم عن قرب. وهي تراجم أصيلة، بناها المؤلف على الطريقة المدرسية المألوفة عند كتاب التراجم والطبقات. فيستوعب ما يهم أخبار الرجال وأحوالهم من المنشأ والمشيخة وممارسة الخطط والنشاط العلمي الذي يمارسه المترجم مع ذكر مؤلفاته وأدبه. ثم تاريخ وفاته ومدفنه إن أمكن.

وهي تراجم مفيدة جدا، تأخذ تطوان وحدها من الكتاب قرابة عشرين ترجمة يمثل رجالها حركة العلم ونشاطه بتطوان في القرن العشرين الميلادي. وأكثر هذه التراجم يتم تسجيلها لأول مرة، فينفرد بها هذا الكتاب مثل ترجمة[84]. الشيخ أحمد بن تاويت (ت1414– 1993) والقاضي الأديب البشير أفيلال (ت1410هـ) والتهامي الوزاني (ت1392هـ) والحسن بن عبد الوهاب (ت1993م) ومحمد داود (ت1404هـ) ومحمد بن محمد التهامي أفيلال (ت1388هـ)، والأستاذ محمد الطنجي (ت1991م). والقاضي محمد اللبادي (ت 1395هـ)، والفقيه محمد المرير (ت1398 هـ) والقاضي محمد العثماني (ت 1410هـ)، والفقيه القاضي محمد المرابط الترغي (ت1991م)، والأستاذ محمد الفحصي (ت1393هـ) والفقيه محمد التجكاني الحسني (ت1411هـ)، والأستاذ العدل عبد الرحمن الأزمي (ت1402هـ)، والأستاذ عبد السلام بلقات (ت1404هـ) والفقيه محمد العربي الخطيب (ت1400هـ) والأستاذ العربي

---

83 - ما يزال كتاب **أزهار البستان** مخطوطا، ويتم تحقيقه في إطار أطروحة جامعية بكلية الآداب بتطوان. تنظر ترجمة أحمد بن عجيبة في : فهرسته، كلها - تاريخ تطوان 213/6.

84 - طبع كتاب **إسعاف الراغبين** بمطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1412هـ/1992م - تنظر ترجمة المؤلف في: فهرسته المسماة إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ، ص 216 - تقييدة صفحية بخبر وفاته.

اللوه (ت1408هـ) والقاضي علي الذهبي (ت1384هـ) وغيرهم ممن كان لهم حضور لوقت عابر بتطوان.

وهي حصيلة مهمة من التراجم يحصل لتطوان بها امتياز خاص، فيكون الكتاب في خُمُس مادته مستندا يوثق الحركة العلمية ونشاط رجالها في القرن العشرين.

2/ ومنها كتب الوفيات الخاصة برجال المغرب عامة، ويرد بينها وفيات رجال تطوان وغيرها. وتُبنى الترجمة في كتب الوفيات على ذكر الوفاة أساسا أو ما يقوم مقامها. فتقتصر عليها مع تحلية المترجم به، أو تتوسع لذكر أحواله في المولد والمنشأ وممارسة الخطط والتأليف وغيرها. وتتعدد كتب الوفيات في المغرب، وبخاصة في القرون الأربعة الأخيرة لتشمل ذكر وفيات وتراجم الرجال الذين أنجبهم المغرب في هذه الأزمنة. ويبرز بينها رجال تطوان بصفة من الصفات. فمنها :

* **كتاب نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري**[85] (ت 1187هـ) وهو كتاب يسير في سلسلة الوفيات رغم توسعه في تراجم الرجال بذكر المولد والمنشأ والأحوال بجانب الوفاة إن تحصلت، لأنه جاء تذييلا لسلسلتين من الوفيات بلغ بهما مؤلفاها إلى نهاية القرن العاشر للهجرة، لتبدأ تراجم نشر المثاني مع مطالع القرن الحادي عشر، ولتستمر إلى ما قبل وفاة المؤلف بقليل، إذ يقف في تراجمه عند ذكر وفاة واحدة من وفيات عام 1186 هـ. ويخضع الكتاب في ترتيب وفياته لنظام السنوات أو ما يعرف بالحوليات. فتجمع في كل حول أو سنة حسب الترتيب الزمني. ويبلغ عدد تراجم الكتاب قرابة 900 ترجمة، فيها عدد لا بأس به من وفيات رجال تطوان، ممن اشتهروا بالعلم أو الأدب أو الوجاهة أو التصوف[86]، مثل محمد بن الحاج نوار (ت1006هـ)، ويوسف بن يامون التيال (ت1024هـ)، والشيخ المتصوف علي الجعايدي (ت1033هـ) والعربي بن يوسف الفاسي صاحب مرآة المحاسن (ت 1052هـ)، وعبد العزيز الزياتي صاحب نوازل غمارة (ت1055هـ)، والشيخ علي بركة الأندلسي (ت1120هـ) ومحمد الدريج التطواني (ت1126هـ)،

---

85 ـ تنظر تراجم المذكورين في كتاب **إسعاف الراغبين** بالتتابع: 25 – 70 – 77 – 83 – 146 – 169 – 201 – 206 – 215 – 224 – 239 – 242 – 253 – 356 – 431 – 452 – 469 – 486.

86 ـ نشر كتاب **نشر المثاني** ثلاث مرات: الأولى على الحجر بفاس في جزءين – الثاني بالرباط عام 1977 بتحقيق ذ. محمد حجي وذ. أحمد توفيق في أربعة أجزاء – ثم أعيد نشره ضمن مواد **موسوعة أعلام المغرب** بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ/1996م. تنظر الإحالة على ترجمة القادري في الهامش أعلاه رقم 26.

والأديب علي منضوصة (ت1126هـ) والخطيب أحمد السرايري التطواني (ت 1156هـ) وغيرهم كثير.

ويمثل نشر المثاني بهذه الصفة وثيقة تكشف عن جانب من العلم والثقافة مما عايشته تطوان خلال القرنين الحادي عشر والثاني للهجرة، فتوثق أعمال رجالها الذين نشطوا في العلم والتصوف والتدريس والتأليف، وتعرف بهم بذكر تواريخهم وأحوالهم، وما يثيره حضورهم العلمي والصوفي، ليتأكد به حضور تطوان ومساهمتها العلمية والثقافية في بناء صرح المغرب الفكري .

* **وكتاب إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**[87] **للشيخ عبد السلام بن عبد القادر بنسودة** (ت1400) وهو كتاب جرَّده - مختصرا - من كتاب زبدة الأثر مما مضى من العبر في القرن الثالث والرابع عشر. والذي كان قد جعله في الأصل ذيلا على نشر المثاني للقادري المتقدم الذكر. ورتب الكتاب على حسب السنين من أول عام 1171 هـ إلى قُبَيْل وفاته بقليل، مقتصرا فيه على وفيات رجال المغرب الأقصى دون غيره. وقد استوعب وفيات الرجال في القرنين المذكورين حيث ختم المؤلف بترجمته لنفسه.

ويضم الكتاب الآلاف من وفيات رجال المغرب في القرنين الأخيرين، وضمنها وفيات الكثير من رجال تطوان وعلمائها. وإن لم يكونوا بمستوى الوفيات المذكورة لأهل فاس أو سوس أو غيرهما.

وينفرد الكتاب بعدد من تراجم تطوان ووفيات أصحابها، فلا يرد لها ذكر إلا في هذا المصدر، ولاسيما رجال تطوان، كما هو الأمر في ترجمة رجال أسرة أفيلال، محمد المفضل أفيلال[88] (ت1304هـ) وأخيه القاضي التهامي أفيلال (ت1339هـ)، ومحمد بن التهامي أفيلال (ت 1388هـ)، ومحمد مصطفى أفيلال (ت1390هـ) وقبلهم جميعا المأمون أفيلال (ت1245هـ)، ومحمد الهاشمي أفيلال (ت 1264هـ) وغيرهم.

ورجال أسرة بني ريسون العلميين[89]، الغالي بن أبي مدين بن ريسون (ت1180هـ) ومحمد بن علي بن ريسون (ت1182هـ)، وإبراهيم بن ريسون (ت1200هـ)، ومحمد بن عبد الله بن ريسون (ت1298هـ)، وعبد السلام بن علي بن ريسون (ت1299هـ) ومحمد بن البشير ابن ريسون (ت1358)،

---

87 - راجع تراجم هؤلاء بالتتابع في نشر المثاني: 65/1 – 207/1 – 260/1 – 10/2 – 30/2 – 195/3 – 217/3 – 218/3 – 1156/4.

88 - نشر كتاب **إتحاف المطالع** ضمن موسوعة أعلام المغرب بإشراف الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ/1996م.

89 - راجع تراجم هؤلاء بالتتابع في إتحاف المطالع ضمن **موسوعة أعلام المغرب** 2770/8 – 2918/8 – 3401/9 – 3422/9 – 2531/7 – 2582/7.

ومحمد الخضر بن ريسون (ت 1346هـ) وغيرهم من مشاهير رجال الأسر التطوانية، ورجال العلم والتصوف والوجاهة بها.

* **وفيات الفقيه القاضي محمد المرابط الترغي**[90] (ت1999م) وهي مجموعة تقاييد سجلها الفقيه المذكور في نشرات وتقييدات، وتوجز ذكر المترجم به، فتذكر تقييدة وفاته ومدفنه وحضور المؤلف جنازته والصلاة عليه، وفي القليل تحليته وذكر بعض أخباره.

وهي في عمومها تقارب مائة رسم تتعلق برجال تطوان العلماء في السنوات المتأخرة، إلا أن قليلا منها كانت لرجال من خارج تطوان. وهي مفيدة في بابها لمن يرغب في معرفة وفيات المتأخرين من رجال تطوان العلماء والوجهاء.

3/ كتب المناقب والسير وتواريخ الأسر: وهي أعمال تأليفية مميزة، لأنها تختص بأصناف محدودة من الرجال، فتعرِّف بهم في إطار معين، وتركز على مجموعة من الجوانب في هذا التعريف، هدفها هو إبراز صلاح هؤلاء الرجال وتوثيق المشاهد الكرامية التي تثبت ذلك الصلاح وتلك الولاية.

هذه المؤلفات موضوعها تراجم الصلحاء وذكر مناقبهم وما يتبع تلك المناقب من إثبات الصلاح والولاية.

وقد برزت تطوان في أعمال هذه المناقب، سواء مما اختص بشيوخ تطوان منذ البداية فكان مقصورا على رجالها، أو مما ورد ذكره ضمن مناقب عامة تشمل صلحاء تطوان وغير تطوان، وسواء أكان العمل المنقبي يخص شيخاً واحداً في ترجمة مفردة، أو كانت تراجم منقبية جماعية تشمل ترجمة هذا بجانب ذاك.

وأقدم هذه الأعمال المنقبية التي تعرفها تطوان هي التي اختصت بمناقب الشيخ عبد القادر التبِّين[91] (ت 566هـ) في الكتاب المشهور بنزهة الأفكار لأبي الحسن البياري الطنجي[92](كان حيا عام 728هـ)، فينقل لنا مختصره[93]. المتداول منه صورة من التعريف بالشيخ عبد القادر التبين وشيخه الفخار. ولولا هذا

---

[90] ـ راجع تراجم هؤلاء بالتتابع في إتحاف المطالع: 7/ 2393 - 2434/7 - 2670/7- 2672/7 - 3066/8 - 3325/9.

[91] ـ ما تزال مخطوطة في نشراتها الأصيلة ومنها نسخة مخرجة بخطي في كناش طويل بمكتبتي الخاصة. راجع عن ترجمة الفقيه الترغي ما تقدم، هامش 18.

[92] ـ تنظر ترجمته في **مختصر نزهة الأفكار**، ص 35 ومابعده ـ و**عمدة الراوين** 39/4، مطبوع. و**تاريخ تطوان** 73/1.

[93] ـ ذكر ابن بطوطة في حجة عام 728 أنه قدم إلى الحج من بلده طنجة عدد من الفقهاء والعلماء، منهم أبو عبد الله .... الجراوي... وأبو الحسن البياري. راجع رحلة ابن بطوطة 265/1، طبعة مؤسسة الرسالة.

المختصر المتداول اليوم لظل الشيخ عبد القادر التبين مجرد ضريح بأسفل سور تطوان العتيقة، ولظل نسبه وأصله وقدومه إلى تطوان وعلمه وصلاحه وكراماته ووفاته ومدفنه، أشياء غير معروفة. لهذا كانت أهمية كتاب المناقب هذا في صورة المختصر منه على الأقل، كبيرة، لأنها توثق لنا تجربة الصلاح الأولى مما عرفته تطوان في تاريخ نشأتها، وتصبح مستنداً يعرف بأقدم أولياء تطوان ورجالها[94].

وتحتفظ كثير من كتب المناقب التي عرفها المغرب، بالحديث على صلحاء تطوان، والتعريف بعدد وافر منهم، مما نجده في:

* **كتاب دوحة الناشر[95] لمحاسن من كان بالمغرب من رجال القرن العاشر** لمحمد بن عسكر العلمي (ت986هـ/1578م) وقد ترجم لعدد من الصلحاء التطوانيين.

* **وكتاب مرآة المحاسن[96] من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، للشيخ العربي الفاسي (ت 1152) وقد أتى على عدد من رجال تطوان في العلم والصلاح ممن كانوا على صلة بوالده أبي المحاسن يوسف الفاسي أو على علاقة بالزاوية الفاسية وطريقتها بتطوان والقصر الكبير وفاس.

* **وكتاب ابتهاج القلوب[97] بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب** لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1096هـ) وقد استوعب ذكر مجموعة من العلماء والصلحاء ممن كانوا على اتصال بتطوان من أبنائها أو الوافدين عليها، لاسيما ممن كانت لهم علاقة بالطريقة الصوفية، وبزاوية الفاسيين بها.

* **وكتاب سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية[98]** للشيخ امحمد الزبادي المنالي، وقد أتى على ذكر صلحاء تطوان من المجاذيب خاصة ممن كان يرحل إلى لقائهم والتبرك بهم، ثم في التعريف بهم.

---

94 - نشر تحت اسم: **مختصر نزهة الأفكار وحلة الأبرار في مناقب سيدي عبد القادر وشيخه الفخار** لمؤلف مجهول. بتحقيق الزميل الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان 1417هـ/1996م.

95 - من المناقب المفردة التي تعرفها تطوان أيضا كتاب **النور اللامع البراق في ترجمة الشيخ سيدي محمد الحراق لتلميذه محمد بن العربي الدلائي الرباطي** (ت 1285هـ/1867م) مخ بخزانة تطوان العامة. وكتاب للأستاذ عبد الرحيم جبور **العدي في حياة الشيخ الصوفي سيدي عبد السلام بن ريسون**، دار الطباعة، تطوان 1951.

96 - نشر دوحة الناشر أكثر من مرة، على الحجر بفاس، وبالرباط بعناية د. حجي عام 1396هـ/1976م.

97 - نشرت **مرآة المحاسن** على الحجر بفاس، ثم أعيد نشرها أخيرا بتحقيق ذ. حمزة الكتاني، الدار البيضاء 1424هـ/2003م.

98 - ما يزال **ابتهاج القلوب** مخطوطا في أكثر من نسخة بالخزائن المغربية. وقد حقق في إطار رسالة جامعية بكلية الآداب بالرباط.

وقد أتى الأستاذ محمد داود على النقل الكامل لتراجم الرجال ومناقبهم الواردة في هذه الكتب، مما يتصل بتطوان أو يرتبط بها، في تاريخه الكبير تاريخ تطوان[99]، فكان دورها كبيراً في توثيق تراجم رجال تطوان ممن غلب عليهم الصلاح أو شملتهم الولاية لتصبح أحد المستندات الرئيسية في التعريف بتطوان وكتابة تاريخها الفكري والثقافي.

ولا تقل أهمية مصنفات الأسر في التوثيق التاريخي عن بقية المصنفات الأخرى فهي من جهتها تؤرخ للشريحة الاجتماعية التي احتضنتها تطوان وعمَّرت بها. ورغم أن الاستفادة من كتب الأسر في تطوان قد ظل محدوداً، فإن اعتماد بعض هذه المصنفات في مجال التعريف برجال تطوان وتوثيق نشاطهم وحضورهم العلمي والصلاحي كان أمراً ضرورياً، نجده في قيمتها المصدرية والرجوع إليها كما فعل الأستاذ محمد داود مع منظومة المهدي بن طاهر الفاسي (ت 1178) في التعريف بفروع الأسر الفاسية[100]، والمسماة: جواهر الأصداف في جمع مناقب الأسلاف.

أو في الانصراف إلى التأليف فيها وكتابة تراجم رجالها أو التعريف بها كما فعل الأستاذ عبد الرحيم جبور في رسالته في الأسر الأندلسية[101] بتطوان والمسماة: لمحة عن تاريخ تطوان وعائلاتها الأندلسية الأصل.

وكما فعل الأستاذ محمد داود في جمعه كتاب الأسر التطوانية[102] وغيرها.

ثالثا: تراجم كتاب تاريخ تطوان لداود[103]:

ولابأس أن نقف عند نموذج من هذه الأعمال وهو تاريخ تطوان للأستاذ محمد داود رحمه الله. والكتاب في أصله تاريخ جامع لمدينة تطوان يكشف عن الحدث التاريخي فيعرضه ويسرد وقائعه، ويتناول التعليق عليه فيحلله ويرصد العناصر الفاعلة فيه، والخفية والظاهرة، ويثير المواقف المرتبطة به – قبلُ أو بعدُ – فيرسم أبعادها في الأسباب الباعثة لها وفي النتائج المتحصلة منها.

---

[99] ـ ما يزال **ابتهاج القلوب** مخطوطا في أكثر من نسخة بالخزائن المغربية. وقد حقق في إطار رسالة جامعية بكلية الآداب بالرباط.

[100] ـ **سلوك الطريق الوارية** للزبادي ما يزال مخطوطا في الخزانة الحسنية بالرباط، والخزانة العامة (دار الكتب الوطنية) بالرباط. راجع تاريخ تطوان 153/3، حيث نقل منه عدة تراجم لمجذوبين تطوانيين.

[101] ـ صرح بالنقل عنها في تاريخه عند عرض لائحة المصادر في المجلد الأول: 509 - 513 - 514. وراجع 144/1-155-156. حيث النقل من الدوحة و 315/1 حيث النقل من **مرآة المحاسن**. و316/1-317 حيث النقل من **ابتهاج القلوب**.

[102] ـ **تاريخ تطوان** 69/3، حيث ترجمة المؤلف والحديث عن المنظومة.

[103] ـ طبع بالمطبعة المهدية بتطوان عام 1948. وهو في أصله محاضرة.

وهو إلى هذا وذاك يهتم بعنصرين اثنين يوثق بهما هذا التاريخ ويقيم بهما شخصية تطوان في ذلك.

أولاهما: استحضار نصوص الوثائق المختلفة للشهادة على الأحداث والوقائع. وذلك من خلال نصوص الظهائر السلطانية والرسائل الرسمية، والمعاهدات والاتفاقات والتقارير المختلفة، والشهادات العدلية والكتابات الصحفية والتاريخية والتأليفية بما فيها تلك المترجمات والمنقولات من لغات أجنبية.

ثانيهما: ما ارتبط برجال تطوان والطارئين عليها، ممن قامت على أيديهم شخصية تطوان التاريخية في السياسة والثقافة والصلاح والاجتماع، فيعرّف بها ويثير مواقفها ويحدد موقعها الفاعل في حياة تطوان، في التاريخ أو في الثقافة أو في المجتمع.

ونُبارك للأستاذ محمد داوود رحمه الله ما هيأه في هذا الكتاب من سرد تاريخي بلغ فيه الغاية، مع ما هيأ بجانبه من وثائق ومستندات ونصوص. وهما جانبان مميزان في تاريخ تطوان، ونرجئ الحديث عنهما إلى فرصة أخرى إن شاء الله.

على أن ما يهمني في تاريخ تطوان الآن في هذا العرض هو كونه مجمع كثير من تراجم رجال تطوان حتى إنه كاد يصبح أوْفى كتاب تراجم حول مدينة تطوان، يتجاوز بها ما يمكن تداوله من تراجم تخص هذه المدينة الآن.

يبلغ عدد تراجم كتاب تاريخ تطوان حسب المجلدات التسعة من المطبوع المتداول بين أيدينا إلى ما يزيد على 150 ترجمة، تتوزع بينها على الترتيب التالي:

1/ ما قبل القرن الحادي عشر للهجرة: وتأتي خلالها 15 ترجمة رئيسية لرجال ينتمون إلى حقب مختلفة، في مقدمتها ترجمتا سيدي عبد القادر التبين، وسيدي الصعيدي.

2/ تراجم القرن الحادي عشر: ويمثلها قرابة 34 ترجمة منها تراجم القضاة الذين تولوا قضاء تطوان وبقيتهم من العلماء والصلحاء المشاهير. في طليعتهم الشيخ علي بن مسعود الجعيدي وسيدي علي بركة الأندلسي والأديب الرحالة محمد بن علي الرافعي. والتراجم المتقدمة في الفقرتين معا يضمهما المجلد الأول من تاريخ تطوان حسب المطبوع المتداول منه.

3/ تراجم القرن الثاني عشر: وهم يقاربون 53 ترجمة أساسية، إضافة إلى بقية التراجم العارضة منهم الأصليون والوافدون وتبرز بينهم تراجم بعض

المشاهير مثل الحاج عمر بن عبد السلام لوقش[104] (ت 1149هـ) والي تطوان وزعيمها في محاربة أحمد بن علي الريفي، والفقيه أحمد بن علي الورزازي[105] عالم تطوان وشيخها. هذه التراجم جميعها يشملها المجلد الثالث من تاريخ تطوان المطبوع.

4/ تراجم القرن الثالث عشر: وهم أيضا يقاربون الخمسين ترجمة أساسية إضافة إلى ترجمة القضاة والمدرسين، وهي إما عارضة أو مكررة. ويبرز بينها تراجم وافية لشخصيات كان لها حضور كبير في تطوان وتأثير في حياتها العامة والخاصة. في مقدمتها: الشيخ السيد عبد السلام بن ريسون[106]، والشيخ أحمد بن عجيبة[107]، والشيخ محمد الحراق[108]، وهي شخصيات روحية لها حضور صوفي وأدبي كبير. ومن الشخصيات السياسية أو الأدبية التي استأثرت بها تراجم القرن الثالث عشر، نجد ترجمة النائب السلطاني امحمد بن عبد الله الخطيب[109]، والوزير محمد بن عبد الله الصفار[110] والأديب المفضل أفيلال[111] وغيرها.

زيادة على هذه التراجم المهمة لما يزيد على مائة وخمسين ترجمة من مشاهير رجال تطوان في العلم والصلاح والجاه، نجد المؤلف قد صنع لنا ترجمة خص بها نفسه. وهي ترجمة نفيسة لأنها تقدم لنا كثيرا من المعلومات حول المؤرخ الأستاذ محمد داود، ولولاها لكنا في حاجة إلى البحث عنها وعن كثير من الجوانب التي خفيت عنا من ترجمة الرجل. وتتفاوت هذه التراجم 150 فيما بينها في الطول والقصر، فمنها ترجمات شَحَّت المصادر بأخبارها فكان لها ذكر طارئ لم يغن في التعريف بها أو إزالة المجهول حولها. ومنها ما كان لمادتها حضور كبير ملأ مساحة كبيرة في الترجمة، وأسعفتها المصادر والمراجع والوثائق لتبرز بشكل واضح على صفحات هذا التاريخ ولتتأكد فاعليتها في صناعة الحدث السياسي أو الثقافي والفكري في مدينة تطوان منذ تاريخها القديم إلى اليوم.

---

[104] ـ ما يزال كتاب الأستاذ داود في **الأسر التطوانية** مخطوطاً، وهو مفيد جداً في التعرف على أسر تطوان وعلى المشاهير من رجالها

[105] ـ صدر **تاريخ تطوان** ابتداء من عام 1959 حيث صدر المجلد الأول بمطبعة كريماديس بتطوان.

[106] ـ راجع **تاريخ تطوان** 18/3.

[107] ـ راجع **تاريخ تطوان** 85/3.

[108] ـ **تاريخ تطوان** 98/7.

[109] ـ **تاريخ تطوان** 19/7.

[110] ـ **تاريخ تطوان** 78/7.

[111] ـ **تاريخ تطوان** 177/7.

فالحديث على الشيخ عبد القادر[112] التبّين (ت566هـ) وسيدي الصعيدي[113]. (ق.التاسع) وسيدي علي بن مسعود الجعايدي[114] (ت 1032هـ) والسيد عبد السلام بن ريسون[115] (ت 1299هـ) وهو حديث على الولاية في تطوان وعن روحانيتها وعن الاستقرار النفسي لأهلها في ظل استمرارية الحضور لهؤلاء الأولياء الكبار، وفيه حديث عن كرامات هؤلاء الشيوخ العارضة ليحفظ كل منهم حوزته من مدينة تطوان. وتستقيم البركة عنده فتصبح مطلب الأهل والوافدين على تطوان. وفي عرضها توثيق لتطوان وأوليائها ورجال البركة بها.

وينفرد **تاريخ تطوان** بذكر كثير من معالم هذه الشخصيات الروحية، فسيدي الصعيدي[116] (من رجال القرن التاسع الهجري) وإن ضاعت معالم أحواله وأخبار حياته، إذ لا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، ولا فترة حياته بالضبط - يظل حاضرا ببركته أولا، وبما تواتر من حديث عن كراماته الجهادية ومغامراته في فك السجناء والأسرى، وإقامة الممال ثانيا. وهي أمور لاشك ترجح أن الرجل كان لـه في واقع حياته حضور كبير في عمل الجهاد وبطولة فائقة فيه. ولا يبعد أن يكون ممن أبلى البلاء الحسن في تحرير سبتة غداة سقوطها في يد نصارى البرتغال عام 818هـ.

وسيدي عبد القادر التبين[117] وإن كان أقدم زمناً من سيدي الصعيدي هو أوثق بالواقع والتاريخ في أحواله وأحداث حياته، إذ يكون الاعتماد على ذكر أخباره مستمداً من مصدر مختص في ترجمته ومناقبه. إنه كتاب في التعريف به وذكر مناقبه من تأليف أبي الحسن البياري[118] الطنجي.

أما سيدي علي بن مسعود الجعايدي فهو أول من أقام مؤسسة الزاوية بطريقتها وتنظيمها وارتباطها بالوراثة والسند في تطوان، إنها الزاوية الفاسية بهذه المدينة والممثلة للطريقة الفاسية التي سيكون لها شأن في المغرب خلال القرن الحادي عشر وما بعده، وقد كانت للمصادر التي أرّخت للزاوية الفاسية، مركز الاعتماد عند الأستاذ محمد داود في تاريخه يوثق منها ما تمثله تطوان في رجالها وفي فكرها، وفي حركتها الثقافية وتحولاتها الاجتماعية.

---

112 - **تاريخ تطوان** 73/1.
113 - **تاريخ تطوان** 322/1.
114 - **تاريخ تطوان** 330/1.
115 - **تاريخ تطوان** 98/7.
116 - راجع **تاريخ تطوان** 322/1.
117 - راجع **تاريخ تطوان** 73/1.
118 - كان حياً عام 728هـ حينما قدم إلى الحج برفقة مجموعة من علماء بلده طنجة.

ويعتبر السيد عبد السلام بن ريسون أحد الأعمدة الولوية التي ارتبطت بها تطوان وأهلها خلال القرن الثالث عشر للهجرة، ولاسيما في محنة تطوان في حرب الستين الغادرة. وكانت مواقف السيد في مصير تطوان في هذه المحنة وفي توجيه أهلها، ما تزال قائمة في نفوس أهل تطوان حاضرة في أذهانهم وذكرياتهم. وكان ذكر ترجمته الموسعة وعرض أحواله وأخباره، هو ما ظل طري التقييد حاضر الاسترجاع والذكرى، تتداوله تطوان في مسموعها ومكتوبها قبل أن يجد توثيقا في الكتابات التي أرخت لهذه الحقبة من تطوان، وبالأخص في **تاريخ تطوان** للأستاذ محمد داود رحمه الله.

ومع هذه التراجم الروحية التي امتدت على صفحات كثيرة من تاريخ تطوان كان هناك تراجم سياسية وعلمية وأدبية أخذت حظها الوافر في ميدان هذا التاريخ، ومجال الحديث فيه.

وهكذا كان من رجال العلم والأدب أمثال الشيخ سيدي علي بركة (ت 1120) والرحالة الأديب محمد الرافعي، والشيخ أبي العباس أحمد بن عجيبة (ت 1224) والشيخ محمد الحراق (ت1261) وغيرهم كثير. والذين زينوا صفحات تاريخ تطوان بتراجم غزيرة المادة، تكشف عن أحوالهم وتنبئ عن آثارهم في الفكر والأدب والتأريخ. بل إن ترجمة هذين الأخيرين - ابن عجيبة والحراق - تكاد تكون عند كل منهما في تاريخ تطوان كتابا قائما بنفسه مستقلا بذاته، لكثرة ما جمعه الأستاذ داود من مواد حولهما وما خصصه من عناية ورعاية في تصنيف هذه المواد وتنظيمها ومعالجتها. وقد بانت النية في أن تصبح ترجمة محمد الحراق رسما مستقلا أو عملا مفردا. في التسمية التي اقترحها الأستاذ داود لهذا العمل .

ومما يجدر ذكره أن من هذه التراجم ما كان للأستاذ داود فضل كبير في صياغتها وبنائها وظهورها بالشكل الذي اشتهر به رجالها في تاريخ تطوان وتاريخ المغرب الحديث. فهي لم تكن تراجم متداولة. ولم يكن رجالها معروفين أصلا.

إلا أن الأستاذ داود قد استقى مادتها من المصنفات التي أنتجها أصحاب هذه التراجم ومن كتاباتهم وأقوالهم. ولم تكن من قبل أسماء هؤلاء المترجمين معروفة فأحرى أن تكون أخبارهم وأحوالهم ووفياتهم ومواليدهم مذكورة أو مسطورة، ولم تكن من قبل أيضا كتاباتهم وآدابهم وتآليفهم معروفة فضلا عن أن تكون متداولة إلا أن اكتشاف هذه المؤلفات والعثور على نسخها المخطوطة قد غير الموازين وهيأ ظروفا لخلق تراجم هذه الشخصيات العلمية المنتجة لهذه المؤلفات.

فالأديب محمد بن علي الرافعي[119] (ت بعد 1110) التطواني المنحدر من أصول أندلسية لم يكن له ذكر من قبل في كل الكتابات السابقة، سواء مما اختصت به تطوان أو مما جرى به الذكر في التواريخ والأعمال التأليفية في المغرب. إلا أن وقوع المجموع الذي يضم شعره ورسائله ورحلته الحجازية وأذكاره، بيد الأستاذ داود قد مهد لتسميته بين علماء تطوان وهيأ لذكر ترجمته بين التراجم الممثلة للثقافة في تطوان والتأليف فيها. لذلك كان الأستاذ داود يبني ترجمة مطولة للأديب محمد الرافعي، فيتبعه في أعماله الشعرية التي سمى فيها شيوخه وحدد فيها علائقه مع هؤلاء الشيوخ في قراءته عليهم وفي أمداحه لهم أو مواساته لهم. وغير ذلك، ويتتبعه في معايشته للأحداث التي عايشتها تطوان والأعمال الجهادية التي ارتبطت بها ناحيته لتحرير كل من مدن طنجة والعرائش وسبتة وغير ذلك، وكيف كانت تتم التعبئة في هذه العملية الجهادية ورصد حركات المجاهدين فيها.

وتتبعه في رحلته الحجازية ليتعرف على الظروف التي رحل أثناءها وكيف حدث ذلك ومن رافقه من أسرته وأصدقائه والموانئ التي انطلق منها ومصاعب الطريق البحري ورعبها، وما سجله من مشاهد في البلاد التي مر بها، ومن لقيه في مراحل هذه الطريق من الرجال والمشاييخ والمشاهد والمواقف منذ الانطلاقة إلى حين العودة. كل عناصرها منتقاة مما كتبه بخط يده.

وقد تأتى للأستاذ داود أن يصوغ ترجمة مطولة وجيدة لهذا الرجل يبني أجزائها ويركب دقائقها ويصوغ فصولها من مواد ذلك المجموع المذكور ليتكشف لنا الرافعي التطواني - في النهاية - في أوضح الصور وأبهاها، لولا ما أعوز من ذكر تاريخ الولادة وتاريخ الوفاة الغائبتين.

لذلك كان فضل داود كبيرا في خلق هذه الترجمة وصياغتها، فكان له السبق فيها لأنه بناها من عدم، ولذلك فهو ينفرد بها في تاريخ تطوان إذ هو مصدرها الذي عالج وثائقها الأصلية.

وكذلك الشأن بالنسبة لترجمة الأديب عبد الله بن علي شطير الحساني[120] (ت في حدود 1214) إذ لولا ما وقع بين يد الأستاذ محمد داود صدفة من تأليف للأديب شطير المذكور لما تبينت لنا قيمة الرجل العلمية وحضوره في الأدب والتأليف فيه، ولما تأتى لنا أن نعرف بالتفصيل مشيخة الرجل وظروف تكوينه والمراحل التي سجلت قراءته على شيوخه في تطوان وغيرها.

---

[119] - راجع **تاريخ تطوان** 390/1 وما تزال رحلته وأعماله التأليفية مخطوطة بخزانة داود بتطوان.

[120] - راجع **تاريخ تطوان** 199/6.

وتعتبر الترجمة المطولة التي خصه بها تاريخ تطوان إحدى العلامات المميزة لنموذج الترجمة الذي صاغه الأستاذ داود فأنشأه إنشاء من مصدر لم يستثمره مؤرخ قبله لينفرد بهذه الترجمة في تاريخ تطوان وليكون مصدرها الأصلي.

ومع هذه الصياغات الترجمية التي أنشأها الأستاذ داود من عدم فكان أول من عرف بها - فإن صناعة الترجمة عنده وفي كثير من الأعمال الترجمية التي ضمها كتاب تاريخ تطوان قد اتخذ منحى توثيقا يلحق فيه بين ما نقلته المصادر من ذكر الأحوال والأخبار وما حملته نصوص الوثائق والمستندات من تحليات ومواقف ليستوعب بذلك ما قيل في صاحب الترجمة وما جرى ذكره في هذه المصادر والوثائق المختلفة، الغميسة أو المتداولة، ليقيم بذلك الترجمة الكبيرة الجامعة لتصبح فيما بعد الترجمة الأوفى لمجموعة من أعلام تطوان، مثل الترجمة التي بناها للشيخ علي بركة الأندلسي[121] التطواني (ت 1120 هـ) فهو قد جمع فيها ما يمكن أن يخص هذا الشيخ من أخبار وأحوال ونصوص ووثائق ومواقف، مستوعبا فيها ما تناقلته المصادر والمراجع المختلفة مع ميزة واضحة في التنسيق بين الفقرات المعنية في بناء الترجمة وصياغتها في قالب متماسك تتكامل مواده وتتوافق في تأدية المقصود من الترجمة والتعريف بصاحبها.

ولكي يعطي الأستاذ محمد داود لتراجم تاريخه ميزة التوثيق والاستناد، فإنه قد حاول أن يعتمد على فيض كبير من المصادر، وأغلبها ما يزال مخطوطا في المكتبات الخاصة مما سبق له أن اطلع عليه أو نقل منه في مكتبة الأستاذ محمد المنوني رحمه الله (ت 1999) أو مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني قبل أن تتصير إلى دار الكتب الوطنية بالرباط، أو مكتبة الفقيه محمد المرير الخاصة بتطوان أو مكتبة القصر الملكي العامر بالرباط حين كونه محافظا بالمكتبة الملكية وغيرها من المكتبات الخاصة والعامة مما لا تزال تحتفظ بكثير من المصادر التاريخية والوثائقية والأدبية، والتي تعتبر غميسة لا يتم تداولها إلا في حدود ضيقة، وعند نخبة محصورة من الدارسين والمؤرخين.

[121] - توفي علي بركة عام 1120هـ - راجع ترجمته الموسعة في **تاريخ تطوان** 1/347-383.